Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

The Autobiography of Abdel Hamid Ibrahim "Evidence and scenes"– Epistemic critical approach

Dr. Shaimaa Mohammed Ali
Arabic Department, Faculty of Al-Alsun, Ain Shams University - Egypt.
Venus_shosho@alsun.asu.edu.eg

Received:27-5-2023 Revised:20-6-2023 Accepted: 29-9-2023 Published: 1-10-2023

DOI: 10.21608/jssa.2023.213736.1515
Volume 24 Issue 7 (2023) Pp.1-25

Abstract

This study deals with the theme of Knowledge in the autobiography of Abdel Hamid Ibrahim (1935-2013), "Evidence and scenes". The study assumes that an autobiographical narrative discourse includes the entire knowledge life of its author, especially literary autobiographies. Abdel Hamid Ibrahim is a literary author, who writes short stories, and has his own critical project. Therefore, his autobiography is a form of writing that integrates aesthetic and mental experience. The study focuses on the experience of life and investigates several questions, each one of them constitutes a part of the discussion.

The study includes some points such as: The title of the Autobiography - Means of Knowledge: Sensory, Mental, and Intuitive - Discourse and Knowledge -Structural Form and the Critic's Project. The study makes use of the thematic analysis in literary criticism, starting with selecting the main issue in the author's autobiography, which is the theme of knowledge. So, the study also makes use of Epistemology. The study maintains its literary and critical identity by focusing on the literary form, the aesthetics of composition, and the style of phrasing, without separating form from content.

Keywords: Autobiography, Epistemic, critical, approach

السيرة الذاتية لعبد الحميد إبراهيم "شواهد ومشاهد"
مقاربة نقدية معرفية

د/ شيماء محمد علي محمد
قسم اللغة العربية، كلية الألسن، جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية
Venus_shosho@alsun.asu.edu.eg

المستخلص:

يعالج هذا البحث موضوع المعرفة في السيرة الذاتية للناقد العربي المصري المعاصر عبد الحميد إبراهيم (1935-2013م)، وعنوانها "شواهد ومشاهد" من منطلق أن السيرة الذاتية لأديب مفكر تهتم بقضية المعرفة بوصفها المرتكز الذي تنطلق منه الذات المفكرة، وتتطور من خلال تفاعلها الدائم مع العالم.

وينطلق البحث من فرضية أن سرد السيرة الذاتية هو خطاب يتضمن الرحلة المعرفية للذات صاحبة السيرة بخاصة الأدبية، و د.عبد الحميد إبراهيم أديب له أعمال قصصية فضلا عن مشروعه النقدي لذلك فإن سيرته الذاتية كتابة تتضمن خبرة جمالية وذهنية، فتضع الدراسة تجربة الحياة في دائرة التأمل، وتطرح عدة أسئلة، كل سؤال منها يشكل محورًا بحثيًا في المعالجة.

وتتجه الدراسة للإفادة من إجراء تحليل الموضوع، وتبدأ باختيار القضية المحورية في سيرة الكاتب وهي موضوع المعرفة، وتناول قضية المعرفة قد وجه الدراسة لتفيد أيضا من الإبستمولوجيا أو نظرية المعرفة، وتحافظ الدراسة على هويتها الأدبية النقدية من خلال الاهتمام بالشكل الأدبي وجماليات التشكيل وأسلوبية الصياغة دون الفصل بين الشكل والمضمون.

الكلمات الدالة: سيرة ذاتية؛ مقاربة؛ نقدية؛ معرفية

مقدمة

تعالج الدراسة موضوع المعرفة في السيرة الذاتية للناقد العربي المصري المعاصر عبد الحميد إبراهيم (1935- 2013م)، وعنوانها "شواهد ومشاهد" من منطلق أن السيرة الذاتية لأديب مفكر تهتم بقضية المعرفة بوصفها المرتكز الذي تنطلق منه الذات المفكرة، وتتطور من خلال تفاعلها الدائم مع العالم، وينتج عن هذا التفاعل استخلاص سمات ظواهر الوجود الخارجي الاجتماعي والحضاري، وتحديد قوانين عملها وتطورها، وفي الوقت نفسه اكتشاف الذات لإمكاناتها في تلك الرحلة المعرفية، ويترتب على تلك العملية المزدوجة صياغة الذات لفكرها وتوجهاتها، وتفعيل مقومات إبداعها، الذي يتجلى فيه جوهرها، وتحقق به وجودها، وتنطق بكلمتها التي تحفظ لها مرجعيتها في التاريخ الثقافي لأمتها.

فرضية البحث:

تتحدد فرضية الدراسات العلمية في توجهاتها الإنسانية أو التطبيقية من اختيار الموضوع؛ لأن تحديد مادة الدراسة يحدث بعد متابعة ذهنية لعدد من الظواهر يجد البحث في إحداها منطلقا يمكن من خلاله استخلاص قيمة معرفية بالمعالجة المنهجية، وإذا كان الموضوع الذي تتخذه الدراسة مجالا بحثيًا هو المعرفة في السيرة الذاتية لشخصية ناقد مفكر معاصر فإن الفرضية التي أخذت مساحة جدلية قبل أن تتبلور في صياغة علمية هنا هي أن سرد السيرة الذاتية هو خطاب يتضمن الرحلة المعرفية للذات صاحبة السيرة بخاصة الأدبية، وعبد الحميد إبراهيم أديب له أعمال قصصية، فضلا عن مشروعه النقدي؛ لذلك فإن سيرته الذاتية كتابة تتضمن خبرة جمالية وذهنية، من خلال وضع تجربة الحياة في دائرة التأمل، ومنحها الصورة التشكيلية التي تعكس العمليات المعرفية لشخصية الكاتب.

مادة البحث:

السيرة الذاتية للناقد عبد الحميد إبراهيم عنوانها "شواهد ومشاهد"، وتتطلب أدبيات البحث الإشارة إلى الدراسات السابقة التي تناولت هذه السيرة، ومنها:

- رأفت حسن رستم: التناص عند عبد الحميد إبراهيم: شواهد ومشاهد أنموذجًا، مجلة فكر وإبداع، ج55، 2009م، ص 321: 377
- سيد محمد قطب، عبد المعطي صالح: بحث "عبد الحميد إبراهيم: الباحث عن أصل الحكاية" ضمن كتاب قراءات نقدية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1999م، ص 65: 89
- سيد محمد قطب، عبد المعطي صالح: عبد الحميد إبراهيم، واسطة المنظومة النقدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2001م.
- مصطفى القاضي:عبد الحميد إبراهيم في عيون الأدباء والمفكرين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2007م.

وستوضح قائمة المراجع أهم الأعمال التي أفاد البحث منها وتحاور معها.

منهج البحث وإطار العمل:

تفيد الدراسة من منهج تحليل الموضوع، ومن خلاله كان التركيز على قضية المعرفة بوصفها أحد المحاور المهمة في سيرة د.عبد الحميد إبراهيم.

تعددت المصطلحات الدالة على هذا المنهج النقدي مابين النقد الموضوعاتي –وهي الصيغة الشائعة- والنقد المداري أو الشمولي، والنقد التيماتي، والنقد الظاهراتي، والنقد الجذري[1]، وهو منهج نقدي يترك المجال متسعًا للإفادة من مناهج نقدية أخرى فلا يتقيد بنظرية نقدية واحدة، ويتعامل مع العمل الأدبي بوصفه مجالا حاضنًا لأفكار المبدع ووسيلة مهمة تكشف عن آرائه[2]، مع ضرورة الانتباه إلى أن "إفادة المنهج الموضوعي من مناهج النقد المختلفة سواء في المقولات أو بعض التقنيات الإجرائية لا يعني بحال من الأحوال أن القراءة الموضوعية تنقصها الدقة، أو تلجأ إلى تيارات منهجية أخرى لاستعارة آليات تفتقدها، وإنما يعني أن التحليل الموضوعي يتميز بالمرونة، ويمنح الباحث أفقًا رحبًا للحركة، ولا يغلق مجال العمل مكتفيًا بمعالجة خلية نصية أولية بمعزل عن نسيجها الكلي أو عملية إنتاجها."[3]

يبحث منهج تحليل الموضوع عن النقاط الأساسية التي يتكون منها العمل الأدبي، والعمل على مقاربتها.[4] فتبدأ الدراسة باختيار القضية المحورية التي تمثل مرتكزًا في سيرة الكاتب عبد الحميد إبراهيم، وهي

---

[1]) انظر حميد لحمداني: سحر الموضوع، آنفو- برانت، القادسية، ط2، 2014، ص 29، 55، وانظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، المغرب، ط1، 1989م، ص 6

[2]) انظر حميد لحمداني: سحر الموضوع، ص52، 53

[3]) سيد محمد قطب، عبد المعطي صالح، أحمد يحيي علي، أحمد عبد العظيم، علاء عبد المنعم: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي- تيمة الرحلة في السرد والشعر نموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2011م، ص 10

[4]) انظر سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، ص 8

موضوع "المعرفة"، وتناول قضية المعرفة قد وجه الدراسة لتفيد أيضًا من الإبستمولوجيا[1]، أو نظرية المعرفة[2] التي تبحث في طبيعة المعرفة ومصدرها وحدودها.[3]

إن الموضوع المعرفي في معالجة هذه السيرة هو محاولة لاستخلاص كلمة الكاتب من سرديته من ناحية، وتنحو الدراسة نحو الإفادة من دائرة بحثية تصل الأدب بالفلسفة وعلم النفس من ناحية أخرى، وتحافظ الدراسة على هويتها الأدبية النقدية من خلال الاهتمام بالشكل الأدبي، وجماليات التشكيل وأسلوبية الصياغة، دون الفصل بين الشكل والمضمون، وقد تطلبت الدراسة المعرفية وضع المنهج التحليلي في الاعتبار، والمنهج التحليلي في المعرفة هو مجمل الطرق المنطقية المتبعة في التفكير مثل الحكم والاستقراء والقياس، وهذا ما يرى عمانويل كانت أنه "تطبيق أشكال المنطق نفسها على معرفة الواقع..، ويقوم المنهج التحليلي على النظر إلى نظام تعاقبي في صفات شيء"[4] والعقل التحليلي هو الذي يتناول الأشياء من خلال عناصرها وليس بكليتها[5]، ولا ينحو البحث منحى الدراسات الفلسفية في المعرفة بالتجريد، إنما يبدأ من النص الأدبي، وينتهي إليه مستنطقا السرد السيري الذي كتبه أديب ناقد له خبرته الجمالية في التعامل مع النصوص، ونصه السيري وليد رحلة حياته الشخصية المتصلة بالسياق الاجتماعي والمتضمنة في التجربة الإنسانية الكلية، وحينما تتحول السيرة من أحداث الحياة التي احتفظت بها الذاكرة إلى نص جمالي يكتبه قلم خبير فإنها تعيد صورة العالم بالتذكر التخيلي بوصف "العالم هو محك اختبارنا أكثر مما هو مجال تقديم لمفاهيمنا."[6] فنحن نبحث عن صيغ للحياة المشتركة أكثر مما نحاول فرض إرادتنا على توجهات الآخرين.

أسئلة البحث:

من خلال الموضوع الذي يدرس السيرة الذاتية لعبد الحميد إبراهيم من منظور المقاربة المعرفية فإن الأسئلة التي تقع في دائرة اهتمام المعالجة البحثية لتستخلص إجاباتها بالتحليل النقدي هي:

- ما المدخل المعرفي الذي انطلق منه عبد الحميد إبراهيم في اختيار عنوان سيرته؟
- كيف أدت وسائل المعرفة الحسية والعقلية والحدسية دورها في تكوين الشخصية وتطويرها؟
- هل عبّرت الصياغة الأسلوبية عن مفهوم المعرفة عند الكاتب؟
- كيف استغلت الشخصية الفضاء المكاني الزماني في اكتساب المعرفة؟
- ما أهم الظواهر المعرفية التي تعد موضوعات سردية في السيرة "شواهد ومشاهد"؟
- هل شكل السيرة الذي اختاره الكاتب يدل على موقف فكري متصل بمشروعه النقدي؟

---

[1]) هي لفظ يوناني مشتق من مقطعين episteme بمعنى معرفة، و logos بمعنى علم، ويتصل هذا المصطلح بمباحث فلسفية تتعلق بأصل المعرفة ومصادرها وغيرها.

انظر مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 12، 13

[2]) نظرية المعرفة تأتي مرادفًا للإبستمولوجيا في اللغتين الإنجليزية والإيطالية بخلاف اللغة الفرنسية التي تجعل لكلمة الإبستمولوجيا مفهومًا يتسع ليشمل علم نفس العلوم أيضًا.

انظر أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية – معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، ط 2، 2001م، ص 356، 357، وانظر جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، 1994، 1414، ص 33

[3]) انظر زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، مؤسسة هنداوي، 2017م.

[4]) أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية – معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية، ص64- 65

[5])انظر السابق، ص 67

[6]) جاستون باشلار: إبستمولوجيا – نظرية المعرفة – نصوص مختارة، ترجمة وتقديم درويش الحلوجي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط 1، 1998م، ص41

وكل سؤال يمكن أن يكون محورًا بحثيًا في المعالجة، ومن هذه البنية تتكون المتوالية البنائية للدراسة، وتحاول إجابات المعالجة أن تفيد السياق الإبداعي في كتابة أشكال السيرة الذاتية، وكيف يمكن أن تفيد الذات من معطيات الحياة في كتابة سيرتها، وتمد العلاقة بين الأدب والحياة بتغذية إرجاعية، وتستخدم معطيات الدراسة في الحلقات البحثية والفعاليات النقدية وتنمية الوعي الجمالي، ويمكن تدريس المعالجات البحثية من هذا النوع في محاضرات الأدب والنقد، وتوجيه أنظار الدارسين في برامج إعداد محاضري الدراسات الإنسانية لأهمية فن السيرة في دعم طلاب محاضرات الأدب لاكتساب مرجعية علمية يمكن تطبيقها في مجتمع الدرس الأدبي لفهم التجارب المعرفية وطرق التعبير عنها.

ومن مرجعية الأسئلة السابقة تتضمن الدراسة المحاور الآتية:

- العنوان والمدخل المعرفي لسيرة "شواهد ومشاهد"
- وسائل المعرفة: الحسية والعقلية والحدسية
- الخطاب والمعرفة
- الفضاء والمعرفة
- الظواهر المعرفية في سيرة الناقد
- شواهد ومشاهد: البنية الشكلية ومشروع الناقد

وفيما يأتي تعالج الدراسة هذه المحاور انطلاقا من التكوين الأدبي، وهو الأصل المرجعي الذي ترتكز إليه القراءة النقدية في هذه الدراسة، مرورا بالتجربة المعرفية ولا يمكن فصل المعرفة عن أشكال التعبير كلها، من هذا التصور فإن "كلمة cognition في الإنجليزية تدل على المعرفة في معناها العام، وتميل بشكل خاص إلى تفسير الانطباعات الحسية"[1] وهذا المعنى العام يجد في فن السيرة مساحة ثرية للتجلي السردي.

والأدب بجمالياته يتجاوز المعرفة المادية التي ينطلق منها أصحاب "المذهب الوضعي الذي أرساه أوجست كونت، فهو يرى ضرورة الوقوف بمحاولاتنا نحو معرفة العالم الخارجي عند حدود الظواهر التي يمكن مشاهدتها وإقامة التجارب عليها"[2] والأدب يعالج العالم المادي والعالم النفسي ، وهذا يتفق مع فكر عمانويل كانت الذي يرى أن "الأشياء دائرة في فلك الذات"[3] لذلك فإن المعرفة في العمل الأدبي تنعكس فيها التجريبية المادية والمثالية العقلية بالإضافة إلى الاستشراف الحدسي المدعم بخبرات جمالية وذهنية، فيرى التجريبيون "أن مصدر معرفتنا جميعا هو الخبرة الحسية ووسيلتها هو الحواس"[4] ويرى العقليون أن المعرفة "صادرة عن العقل لا عن الحواس"[5] ويرى كانت في فلسفته النقدية، التي تنتقد أنصار الحس الخالص أو أنصار العقل الخالص "أن المعرفة لا تتم إلا بالخبرة الحسية والمبادئ العقلية معا"[6] ويرى المتصوفة أن أداة المعرفة هي الحدس أو البصيرة[7] وهذه المفاهيم لن نتناولها مجردة، بل يعالجها الدرس النقدي من منظور الموضوع المعرفي الذي يعد ظاهرة سردية في السيرة الذاتية موضوع البحث، وهو ما دفع الدراسة لتبني الاتجاه النقدي المعرفي من خلال تحليل النص السردي السيري الذي كتبه عبد الحميد إبراهيم في نصه "شواهد ومشاهد"، مع الوضع في الاعتبار المرجعية الثقافية لصاحب السيرة؛ بوصفه ينتمي للأكاديمية العقلية التي تعتد بالمنهجية الإجرائية من ناحية، وكونه ابنًا لحضارة الشرق بروحانيتها الحدسية من ناحية أخرى.

---

[1]) أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية – معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية، ص177

[2]) زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، ص73

[3]) فؤاد زكريا: نظرية المعرفة، مكتبة مصر، القاهرة، 1991م، ص87

[4]) زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، ص37

[5]) السابق، ص44

[6]) السابق ص49

[7]) السابق ص59

أولا: العنوان والمدخل المعرفي لسيرة "شواهد ومشاهد":

تتشكل العتبة النصية الأولى لسيرة[1] عبد الحميد إبراهيم من تركيب قائم على مفردتين يجمعهما حرف العطف معًا من حيث البنية النحوية، والتكرار التكويني من حيث البنية الصوتية، لتتشكل بنية لغوية مميزة هي المدخل الرئيس المستقبل للمتلقي.

يفسر لنا المعجم اللغوي جانبًا من الدوافع التي تقف وراء اختيارات لغوية بعينها كي تصبح أيقونة العمل الأدبي، من ثم تنطلق الدراسة من الدلالة اللغوية المعجمية لـشواهد ومشاهد.

في المعجم اللغوي العربي[2] تدور كلمة "الشاهد" حول معاني البيان، والإظهار، والحضور فضلا عن الإخبار والقول، وجميعها تدل على الموضوع في وجوده المطلق بصرف النظر عن الذات التي تتأمله أو تعالجه، وحينما تتجه إليه الذات تتخذه علامة للإشارة إلى معنى ما، أما المشهد فيعني "مَحْضَرُ الناس"، أي المكان، وهي كلمة متعلقة بالحقل المادي الماثل أمام الذات الفاعلة للإدراك؛ أي أن بنية العنوان تربط الحقلين معًا المادي والمعنوي، والمتلقي لسيرة عبد الحميد يجد فيها احتفاء بقيمة الذات المتتبعة سبل المعرفة ووسائلها وصولا لكل ما تحمله كلمة الشاهد معجميًا من معانٍ، واحتفاء بالحضور المكاني أيضًا.

والمفردتان "الشاهد، والمشهد" تربطهما علاقة جوار في المعجم - تحت المادة نفسها "شهد"- بمفردة أخرى هي "المشاهدة" وتعني المعاينة، التي تتطلب بالضرورة الرؤية لتتعالق من ثم مع المعاني السابقة.

كلمة الشاهد لها دلالتها الاصطلاحية المهمة في عدة مجالات؛ إذ تتعلق بالأقوال التي يستدل بها علماء اللغة والأدب في حقول معرفية متعددة كالنحو والبلاغة، بالإضافة إلى الدلالات الاصطلاحية الأخرى –للكلمة نفسها- التي اقترنت بها منها الشاهد القصصي[3]، فقد أصبح الشاهد وحدة دالة على مفهوم يمكن أن يؤسس قاعدة معرفية.

وقد حددت المعاجم الاصطلاحية أيضا للشاهد وظيفته الأدبية الجمالية حين وضعت له منجزًا يعرفه أيضًا بأنه القول المقتبس الذي يوضع في صدارة عمل ما ليحرك مشاعر المتلقي ويجعله ينفعل معه[4]، وانطلاقا من المعنى الأخير نفسه للشاهد فقد حدد جيرار جنيت G.Genette للشاهد أربع وظائف أخرى.[5]

قصد عبد الحميد إبراهيم أيقونته اللغوية لتتصدر غلاف سيرته مقدمًا من خلالها الذات الشاهدة الحاضرة في المكان، التي تسجل راصدة المحصلة المعرفية المكتسبة التي حصدتها الذات من واقع تعاملاتها وتجاربها واختلاطها بالآخرين عبر سنوات منذ الطفولة مرورًا بمرحلة الشباب، ووصولا إلى سن النضج؛ بعدما تستطيع الذات أن تقدم سيرتها، وتحكم على مواقف قديمة قد سجلت في الذهن في هيئة مشاهد انعكست في الذاكرة، وصارت بمثابة شواهد نستدل بها على التعامل الحياتي الذي أكسبها ألوان المعرفة.

انطلق الكاتب من منطلق لغوي يعبر عن رؤيته الباحثة عن الأصل والجذر ويتجلى ذلك في استناده إلى كلمتين تشتركان في الجذر نفسه، وهو الباحث عن أصول الهوية العربية.

---

[1]) السيرة الذاتيةAutobiography أحد ألوان أدب السيرة Life Writing الذي يضم ألوانًا سردية أخرى كاليوميات والمذكرات والرسائل ويعني حياة إنسان أو بعض منها ،و تقدم البنية التعريفية للسيرة الذاتية في المعاجم العربية بأنها شكل سردي يمتاز بواقعية أحداثه وبعدها عن التخيل.

انظر لطيف الزيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 2002، ص13، انظر أيضًا محمد الباردي: عندما تتكلم الذات "السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص9 وما بعدها

[2]) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 3، مادة شهد

[3]) انظر مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ، بيروت، ط2، 1984، ص 208

[4])انظر لطيف الزيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 113

[5]) انظر السابق، ص 113

كما أن الجذر اللغوي الواحد "شهد" يجمع بين الثابت والمتغير؛ أما الثابت فهو الشاهد أو المقولة التي تدل على قاعدة، والمشهد هو اللحظة المتغيرة التي نراها بالحواس. ويبدو أن هذه الثنائية "الثابت والمتغير" قد شغلت عبد الحميد كثيرًا كما شغلته المعرفة؛ إذ نجده -مثلا- يستدعيها في سياق حديثه عن الحضارة في كتابه "الرواية العربية" فيقول: "ما أريد أن أصل إليه أن الحضارة، أية حضارة، هي ثابت ومتغير."[1]

ويمكن القول أيضًا بأن سيرة عبد الحميد إبراهيم جاءت شاهدًا على فكره، أما المشهد فهو المحتوى الذي يشبه القصص الإخباري بما يمثل من تجارب أيضًا، خاصة أن سيرته روائية، وليست تسجيلية، ولكنه يقدمها كأخبار قصيرة تأثرًا بالأخبار القصصية التي تشكل جزءا من الهوية العربية الثقافية.

من هذه المعالجة يمكن القول إن العنوان يطرح أمام المتلقي سؤال المعرفة من خلال حضور الذات في مواجهة العالم، وقيامها باستخلاص القوانين المعرفية الثابتة من المتغيرات السياقية المتنوعة.

ثانيًا: وسائل المعرفة:

وسائل المعرفة ما هي إلا السبل التي يتحقق بها العلم، ويدرك بها الذهن مفردات الكون من حوله، ويعي معطيات أي موضوع ما، ويلم بجوانبه، يطلق عليها أيضًا القنوات المعرفية ومهمتها تيسير الكشف عن الواقع المحيط بالذات.[2] إن المعرفة إحدى السمات المميزة للإنسان المرتبطة بالسؤال وعملية التفكير[3]، من ثم يكون البحث عن كيفية اكتسابها.

تختلف هذه القنوات حسب نظرية المعرفة الفلسفية ومدارسها المختلفة، وتتنوع ما بين حسية وعقلية وحدسية، ولابد للكاتب -عبد الحميد إبراهيم- الذي كرس قلمه للبحث المعرفي أن تتضح في سيرته بصورة جلية هذه الوسائل المساعدة في تلقي المعرفة، ومن ثم ظهرت هذه البصمة الفلسفية واضحة في تقديمه لعمله المحمل بتجارب كثيرة وخبرات ومعارف، ونستطيع أن نتبين من خلاله الدور الذي أدته هذه الوسائل مجتمعة في تكوين شخصية الكاتب وتطويرها.

المعرفة الحسية:

الحس أول وسائل المعرفة وأوثقها، التي تدرك ما هو مادي، وبين الحواس الخمس شدة وضعف في الإدراك، ومن هنا يكون البصر والسمع أعلى قيمة وشرفًا [4]، ويمكن أن نصف الحواس بأنها "المفاتيح الأولى التي تلقي الضوء على وعينا الإنساني مثلما تكشف أمامنا طريقنا الكوني والاجتماعي. إنها المفردات الأساسية التي تشكل "بورتريه" الإنسان في كل زمان ومكان، وبالتالي لن نجد لغة من لغات العالم تخلو من تلك المفردات لأنها أساسية في عملية التعلم والإدراك."[5]

تسلط الدراسة الضوء على وسائل المعرفة الحسية البصرية، ووسائل المعرفة الحسية السمعية؛ ليس لقيمتهما فحسب؛ ولكن نظرًا لأنهما يشكلان خطين أساسيين في السيرة الذاتية للكاتب، فضلا عن أنه يدمج بينهما في مواضع كثيرة على نحو يصعب أن نتناول كل حاسة منهما بمعزل عن الأخرى.

---

[1]) عبد الحميد إبراهيم: الرواية العربية والبحث عن جذور، جماعة التأصيل الأدبي والفكري،ط1، 1995م، ص 107

[2])انظر أيمن المصري: أصول المعرفة والمنهج العقلي، مكتبة لسان العرب، ط1، 1433هـ، 2012م، ص 55

[3]) انظر: رانية قدري، محمد عروس: مقال المعرفة من الاشتغال الفلسفي إلى النقد المعرفي،مجلة قراءات، مج 13، العدد1، 2021، ص 109

والمعرفة تعني طبقًا للمعاجم الفلسفية إدراك الموضوع بالحواس أو غيرها بحيث لا يبقى فيها أي غموض أو التباس.

انظر مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ط5، ص 606

وانظر أيضًا جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ج 2، ص 392

[4]) أيمن المصري: أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص 57، 58

[5]) سيد محمد السيد قطب وآخرون: الإدراك الجمالي، ص 8

المعرفة الحسية البصرية:

هناك علاقة بين وسائل المعرفة الحسية والإدراك الذهني، لاسيما المعرفة البصرية؛ حيث إنها المدخل الأساس لالتقاط الصورة المرئية الموجهة إلى العقل من ثم يصح القول بإنها علاقة قوامها التفاعل والإضافة.[1]
إن العين الوسيلة الحسية الإدراكية الأولى للطفل بها يتعرف على عالم الكبار في محيطه، وتظهر هنا أهمية الذاكرة بوصفها المعين الأهم الذي ينهل منه كاتب السيرة، وعلى ذلك يمكن وصف السيرة بأنها الوسيلة المختارة لمعرفة الذات.[2]

يرصد عبد الحميد إبراهيم في بداية سيرته بعض المشاهد من طفولته مع التركيز على قيمة هذه الحاسة في إدراك العالم من حوله يقول في موضع منها: "كن يتحادثن ويتسلين ويتضاحكن، وكان هو الصغير الوحيد بينهن، لا يشاركهن الحديث، ولكن ينظر إليهن بعين كعين الصيرة."[3]
المشاركة هنا تعتمد فقط على الرؤية من جانبه، وهو فعل مناسب لسنه؛ فالرؤية وسيلته للتلقي والمعرفة، والطفل في الوقت نفسه لا يملك رصيدًا من التجارب ليشاركها معهم ولكنه يسعد بفعل الرؤية، وتقيم أداة التشبيه علاقة تكشف عن دلالة تتعلق بحجم النهم المعرفي الذي يبتغيه الطفل ويسعى وراءه مع ملاحظة روح الفكاهة في السرد المعرفي الذي يمنح الأداة المعرفية مقاربة مكانية تستخدمها الروح الشعبية في التعبير اليومي الاجتماعي.
المعرفة الحسية البصرية تتصدر عدة مشاهد تشير إلى الأجواء التاريخية والظروف السياسية التي أحاطته في طفولته، فيقدم في موضع من سيرته- من منظور طفل بصحبته أصدقاؤه من المرحلة العمرية نفسها- وصفًا للإنجليز الذين يجولون في أحياء بلده على النحو الآتي: " في الصباح كانوا يتقرمضون حول الجسر الترابي، ينظرون إلى سيارات الإنجليز وهي تثير الغبار. كان الآباء يقولون إنها ذاهبة لمحاربة الألمان، كنا ننظر إليهم فنراهم حمر الوجوه سمانًا، كأنهم الخنازير البرية." [4]
فالأطفال ينظرون وأذهانهم تعقد تشبيهات تقارب بها المشاهد، وتعكس انطباعاتهم المستقرة في نفوسهم عن العدو الذي يرتع في بلادهم، فيربط وعيهم بين صورة المحتل وصورة حيوان قبيح الشكل، وينطلق عبد الحميد إبراهيم في النزعة الإدراكية من منطقة التقاء الذات الفردية بالذات الجمعية.
الحس البصري شكل أداة إبراهيم عبد الحميد الأساسية التي صاحبته دائمًا في مراحل حياته كافة؛ إذ نرصد أهميته في موضع آخر يرتبط بفترة الشباب والنضج ومحاولة اندماجه بالسياق الثقافي حوله، عندئذ تكون عينه الكاميرا التي يرصد بها عالم الأدباء والمبدعين فينتقل إلى المكان الثقافي "مقهى ريش" الذي يعد بمثابة المنتدى الأدبي المطل على ميادين الفكر والثقافة، وهناك يلتقي بكبار الكتاب من قبيل نجيب محفوظ، وعنه يقول: "كان صاحبنا يتعمد أن يجلس بجانبه ويراقبه، عسى أن يدخل معه في حوار."[5]
اختيارات الكاتب هي المعلنة عن اهتماماته والكاشفة عن توجهاته الأيديولوجية، وقد اختار الكاتب البيئة التي تنضح بالفكر والثقافة ليجلس في محيطها بما يثيره المكان من روائح أدبية وفكرية تنتشر في أرجائه، و الفعل "يراقبه" يحدد الدور الذي جسده عبد الحميد في هذا الإطار الثقافي، وهو لم يزل في مرحلة البحث والتعلم والتعرف على مفردات الثقافة من حوله، وفعل المراقبة يدخل في الدائرة الحسية البصرية بما يستدعيه من مفردات أخرى منها القرب والرؤية والتتبع والرصد، ومن الطريف أن عبد الحميد إبراهيم في هذا السياق يشير إلى نفسه بضمير الغائب، وهذا تعبير يدل على نوع من الاعتداد بالذات.

---

[1]) انظر سيد محمد السيد قطب وآخرون: الإدراك الجمالي، ص 18
[2]) انظر لطيف الزيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص13، 111
[3]) شواهد ومشاهد، ص11
[4]) السابق، ص11، 12
[5]) السابق، ص 83

أما العقاد فقد اكتفى عبد الحميد إبراهيم بأن يعمل حواسه ويتتبعه دون أن يقابله وجهًا لوجه، فكان يحرص على أن "يرى صورته في الصحف، بوجهه الأسمر، وهو يتلفع كوفيته وكان يسمع صوته في الإذاعة."[1]
يقرن بين الصورة والصوت لتكتمل الأيقونة الأدبية في وعيه، فضلا عن أن وسائل الإعلام الممثلة في الصحف والإذاعة هي أدوات معرفية أيضًا أسهمت في تشكيل ذهن عبد الحميد وفكره، وتستقر الصورة المرئية في الذاكرة الجمالية للكاتب محتفظة بعلامات الموضوع الذي يدركه.

المعرفة الحسية السمعية:

إن حياة عبد الحميد إبراهيم بمثابة طريق طويل تتخلله محطات مهمة مؤثرة، بعضها محلي والبعض الآخر منها عالمي، وفي كل محطة يكتسب جديدًا ويجد ما يصقل به ذاته، وتكون المحصلة زادًا وجدانيًا أو فكريًا ولبنة تضاف إلى بنائه الشعوري والذهني، ويصاحب ذلك كله انطباعات وآراء عن أفضية مكانية وجدت لها سبيلا إلى نفسه أم لم تجد؛ نظرًا لأن مكانه الأول الذي انطلق منه وشكل بيئته الأولى كان نموذجًا للفضاء المنطبع في ذاكرته، ومن ثم يبحث عن مفردات مشابهة له في كل محطة جديدة ومكان جديد يتوقف فيه قطار رحلته.
والسمع الوسيلة المعرفية التي تصله بإطاره المحيط، وتضعه في مكانه المناسب وتشعره بالألفة والدفء وتستقطبه نفسيًا ووجدانيًا؛ إذ يقول عقب عودته من الخارج: "استقبلني في المطار زوجتي وأولادي وإخوتي. أدركت من الأصوات حولي، أنني في بلدي مصر...
اعتدت هذه الأصوات حولي، وأصبحت أنام وأصحو عليها. لو أن يومًا استيقظت، ولم أسمع صوت بائع الصحف (أهرام، أخبار، جمهورية) لخرجت بالجلابية إلى عرض الشارع، وأخذت أبحث عنه حتى أسمع صوته، ثم أعود لأكمل نومي."[2]
وهكذا فإن سمعه يلتقط صوت بائع الجرائد، أي يلتقط المعرفة ويبحث عنها، فهناك علاقة قائمة بين الصوت والمعرفة؛ إذ الصوت يعلن عن حضورها، وأنها أصبحت متاحة ومنشورة وباستطاعة الجمهور المتلقي الحصول عليها بسهولة حيث ينادى عليها في الطرقات، وهو الصوت الجاذب الوحيد الذي يستطيع أن يحرك عبد الحميد ليبحث عنه إذا افتقده نظرًا لارتباطه بالمكان، ويقدم صورة صوتية مصرية أصيلة مجرد الاستماع إليها يجلب إحساسًا بالاستقرار والأمان، ويتجاوز الصوت المعرفة الذهنية ليصبح دافعًا للسلوك ومحفزًا للمشاعر.
مثلما أن هذه الوسائل المعرفية الحسية شكلت شخصية عبد الحميد إبراهيم وكانت مهمة جدًا في سياق العملية الذهنية الإدراكية، فإنه قد خاطب حواس المتلقي أيضًا من خلال تقنيات الوصف والاعتماد على مخاطبة ذاكرته السمعية والبصرية. مع العلم بأن الذاكرة تحتفظ بالمواقف المؤثرة فقط التي تركت بصمتها في النفس والذهن، والسيرة لا تكتب إلا في فترات عمرية متقدمة ومن ثم تتسع المسافة الفاصلة بين زمن وقوع الحدث وزمن كتابته.[3]
اعتمد الكاتب على تقنية الوصف في عدة مواضع من سيرته الذاتية خاصة عندما يتعلق الأمر بتقديم انطباعه عن المكان، فيخاطب عين المتلقي بالأوصاف المجسدة الناقلة للصورة وتفصيلاتها، والمعبرة عن رؤيته وإحساسه تجاه الموصوف؛ منها المشهد الآتي حيث كان يتطلع منذ صغره إلى الانتقال بعيدًا عن الصعيد،

[1]) شواهد ومشاهد، ص 85
[2]) السابق، ص 109
[3]) انظر لطيف الزيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 111

ويظل يرنو ببصره إلى وابور الساعة 12- الذي خُلد ذكره في صيغة غنائية[1]- فيقول: "كان يجلس في منتصف الليل على النافذة، ينظر "وابور الساعة/ 12" الذي يغادر الصعيد نحو الشمال. يأتي القطار مضيئًا مشعًا، فيلمح فيه أناسًا يتحركون، كأنهم الكائنات الأثيرية. يخفت صوته شيئًا فشيئًا، ولكن الصدى في داخله يملأ كيانه، ويود لو يخرج من إهابه."[2]

يعكس المقطع السابق رغبة في الخروج وكسر القيد والتطلع إلى آفاق أكثر رحابة، يحرك الكاتب شعور نفسي فضولي يحكمه حب المعرفة والرغبة في خوض غمار التجربة بنفسه، وقد ترسخت في ذهنه فكرة أن المكان البعيد ممثلا في القاهرة سيكون –بالنسبة له- عالمًا أفضل كثيرًا من عالمه.إن القطار المضيء المشع بمثابة المعادل الموضوعي لقطار الأمنيات في عبوره أو للنجم بعيد المنال، وإن استطاع الكاتب أن يحقق أمنيته وينتقل عبره بالفعل إلى القاهرة، كذلك استخدم الكاتب ضمير الغائب للإشارة إلى نفسه هنا، ليمنح السياق مساحة من الشعرية التجريدية متخذًا مسافة تسمح بالمشاركة الجمالية مع القارئ فكأنه يكتب ويسمع ويرى في الوقت نفسه.

تتضافر الحواس معًا، فيخاطب حاسة البصر بالصورة المتحركة التي تشع ضوءًا تخالطه حركة في الوقت نفسه، وتكتمل الصورة الذهنية لدى المتلقي باستدعاء الكاتب للصوت لتصبح مجسمة وكأنها مرئية، وهكذا تعتمد الصورة على خطوط تشكيلية متنوعة.

يستمر الصوت مدويًا بداخله في إشارة منه إلى الرغبة التي تملكته وسيطرت عليه، ويظهر في الصورة المكان البيني الممثل في (النافذة) الذي يفصل الداخل عن الخارج تمامًا مثل القطار النافذة الأخرى التي تتيح فعل الاتصال والربط بين الأماكن وتقريبها، وهكذا يتطلع من النافذة الصغيرة الثابتة إلى نافذة أكبر متحركة تعينه على المعرفة وتكون وسيلة مهمة للسعي خلفها.

برز دور المعرفة الحسية أيضًا في وصف الكاتب للقاهرة بعد أن قضى فيها أعوامًا طويلة، كاشفًا عن شعوره تجاهها، إذ يقول:"وداعًا أيتها العجوز الشمطاء، لقد ذابت عن وجهك المساحيق، وبدا كل شيء على حقيقته، الجلد متغضن، والملامح مترهلة، أما صوتك فهو مبحوح كفحيح الأفعى."[3]

بالرغم من أن القاهرة كانت محطة مهمة وأساسية في حياته، لكنه لم يستطع العيش بها طويلا؛ نظرًا لاختلافات مهمة بينها وبين بيئته الأولى، وإن تضمن المقطع السابق صوتًا وصورة في إشارة ضمنية تأكيدية منه إلى أهمية هاتين الوسيلتين في تحصيل المعرفة.

ويمكننا أن نقارن بين وصفه للقاهرة هنا، ووصفه للمنيا في موضع آخر من سيرته إذ يقول: "والعروسة هي مدينة المنيا، التي تغفو فوق أجمل بقعة على النيل وديعة حانية، تترك ذوائبها تمتد فوق النهر..."[4]

يُقيّم عبد الحميد إبراهيم الأماكن التي ارتادها ومدى إسهامها في تشكيله وتكوينه من خلال أوصاف وتشبيهات تفصح عن مكانة الفضاء الذي أقام به بالنسبة له، وكيف صار علامة نفسية مؤثرة، فالمنيا بالنسبة له هي العروس الشابة الوادعة الفتية، فالكاتب يتماهى مع الزمن الجميل بالنسبة له ويتعاطف مع عالم الصعيد الذي شهد نشأته وشبابه، أما القاهرة فعجوز شمطاء.

[1]) شكل القطار وظيفة محورية في الكثير من الأعمال الفنية بوصفه الفضاء المتحرك والوسيط الحامل للمشاعر والذكريات بين الأحباب، قدم مثلا في أغنية "وابور الساعة 12" بصوت الفنانة عفاف راضي، تلحين الاخوين رحباني، تأليف سيد مرسي، وقدمت بصوت الفنان إيمان البحر درويش أيضًا.

[2]) شواهد ومشاهد، ص 64

[3]) السابق، ص 119

[4]) السابق، ص 123

المعرفة العقلية:

العقل مرتكز أساس من مرتكزات المعرفة، يأتي في المرحلة التالية للحواس. ومن يقرأ سيرة د. عبد الحميد يعي جيدًا أن كيفية بناء العقل وتشكيل الوعي هما القضيتان الجليتان فيها، فالمتلقي بصدد شخصية طموحة ترنو دائمًا إلى التغذية العقلية والوجدانية، وتسعى جاهدة في سبيل اكتساب المعرفة، وهي سمات ظاهرة في سيرته.

إذا كانت الوسائل المعرفية العقلية هي ما شغلته في توثيق سيرته الذاتية، فإن القراءة أهم سبل التغذية العقلية؛ نظرًا لما تقدمه من خبرات الآخرين وتجاربهم التي نعايشها، ومن ثم يجد المتلقي فيها متنفسًا ومعينًا على فهم دروب الحياة وجوهرها.

كان فعلا القراءة والاطلاع المصاحبين له طوال رحلته في الحياة، وقد أسهم هذا الجانب في تغذية الروح والوجدان بقدر ما أسهم في تشكيل العقل والفكر، فتصاحب المتلقي في هذه السيرة أسماء أدباء عظام تعامل مع إنتاجهم الأدبي بوعي، ووجد في عالمهم مايستحق التفكر والتدبر وقدم مقولات نقدية كثيرة تقيم أعمالهم؛ منهم طه حسين وتوفيق الحكيم والمنفلوطي وإحسان عبد القدوس وأمين يوسف الغراب وكامل الكيلاني، وغيرهم الكثير.

من بين من ذكرهم من الأعلام الأدبية المؤثرة في السياق الثقافي شخصية طه حسين بوصفها أهم الشخصيات المستقطبة لفكر عبد الحميد إبراهيم منذ أن قرأ له الأيام، وتأثر بها ويمكن أن يوضح المقطع الآتي صدى لهذا التأثر الواضح الذي يصل إلى حد التقليد على النحو الآتي، إذ يقول:

"كان قد قرأ في الأيام أن طه حسين، كان يصلي، وهو صغير، الفرض فرضين، فرضًا عن نفسه، وآخر عن أخيه الذي لا يصلي.

وهو أيضًا قد اكتشف أن أخاه الكبير "يحيي" لا يصلي فهو من طلبة المدارس الأميرية، مثل الأفرنج، عاري الرأس، لا يصوم ولا يصلي. وأقسم من ساعتها فيما بينه وبين نفسه، أن يصلي الفرض فرضين، فرضًا عن نفسه، وآخر عن أخيه، عسى الله أن يتوب عليه، ويهديه سواء السبيل."[1]

الذات دائمًا ما تبحث عمن يشبهها في الحياة ويكون عونًا لها، تتعلم من تجاربه وتجعله قدوة أمامها لاسيما إن وقع الاختيار على شخصية ناجحة ومؤثرة، خاصة أن هناك أوجه تشابه تصل الشخصيتين معًا؛ أول خيط واصل بين الطفل هنا وطه حسين هو الكتاب الذي لم يقرأه فقط بعينيه؛ وإنما تأثر بما فيه، فضلا عن أنه يجمعهما أيضًا الوجهة التعليمية نفسها ؛ إذ تلقى كل منهما العلم بين الأروقة الأزهرية، وهذا سبب آخر يدعم اختياره.

في سياق البناء الفكري والإدراك العقلي لا يتوقف الأمر عند تحصيل المعرفة من خلال القراءة والاطلاع فحسب، بل يتعدى ذلك إلى الشعور النفسي المتولد من الإحساس الداخلي للذات الباحثة عن الظهور والنجاح، ليصبح هذا الشعور الحافز الذي يجعلها تتجه إلى التحصيل والسعي وراء المعرفة، فالأمر بمثابة بناء معماري الحافز النفسي يشكل القاعدة منه ثم يرتفع فوقه فعل الذات المتمثل هنا مثلا في القراءة وينتهي الأمر بتحقيق النجاح والظهور والمعاني اللغوية الأخرى المرتبطة بالشاهد في العنوان.

ثمة دافع يحث الذات دائمًا على المثابرة ومواصلة سعيها في الحياة لتحقيق نجاحات وسط الآخرين بل والتفوق عليهم كي تسعد وتشعر بقيمتها وإلا فما قيمة المنافسة؟ وقد كان حسن الجزاء هو دافعه في طفولته؛ إذ اعتاد الاستمتاع بحبة الجوافة التي تعطيها له والدته؛ محبة منها وحنانًا عليه، أو بكوب العصير الذي يعلن عن اهتمامها به، وعندما فقد هذا الجزاء أيقن أنه ينبغي ألا ينتظر حافزًا يعينه على التقدم؛ "ويعرف طريقه، لم يعد في حاجة إلى "الغمرة" لكي يتجمع حوله الأهل والأقارب، ولكي تسعى إليه الأم حاملة عصير

[1]) شواهد ومشاهد، ص 26، 27

الليمون"[1]، وعندما توقف الجزاء المادي فإنه عالج الأمر عن طريق آخر نفسي إذ اتجه إلى القراءة النفسية، ثم صاغ لنفسه شعارًا "أنا سعيد، وإيماني بنفسي شديد، وسأبلغ ما أريد."[2]

إن الحافز النفسي عندما يرتبط بالرغبة في الظهور والنجاح من خلال تحصيل العلم والمعرفة يكون بمثابة أداة فاعلة للإدراك العقلي ووسيلة داعمة للذات.[3]

النجاح بوصفه إنجازًا فرديًا أم جماعيًا هو القيمة المرجوة في هذه السيرة، وقد أدرك عبد الحميد إبراهيم أن هذه القيمة ينبغي أن تستشعرها الذات من الداخل، فضلا عن أنه ينبغي عليها أن تدرك جيدًا حجم ما تقدم عليه، وتثق أيضًا في قدراتها التي ستمكنها من تحقيق المراد، و ألا تنتظر جزاءً من أحد لكي لا تتعرض للخذلان.

وهكذا قادته قراءاته إلى إضاءات ذهنية كثيرة نورت له دروبه الفكرية، وقاده إعمال عقله إلى رفض الكثير مما قرأ، أما نقده لكثير من أساتذته فما كان إلا لانشغاله بالبحث عن الجديد وهو (مطمور) بداخله، وساعدته ممارسة الطاقة الذهنية وتوجيه جهده بالكامل إلى الإنتاج الأدبي والفكري، وهما ما جعلا منه علامة في الثقافة العربية.

التعلم مسلكه، والفكر طريقه ومنهجه، يقوده العقل ويحركه، فيجمع بين الشهادات الأزهرية والأميرية، ليكون في الصدارة ويتمكن مما لا يستطيعه غيره، ويتعلم الإنجليزية، ويلتحق بدار العلوم وتتكرر الجملة نفسها في سيرته "تهاوت أحلامه في دار العلوم"[4]، لتجسد إحساسه، وتبين عن عقل يبحث بنهم وراء المعرفة ولا يرضى إلا بالجديد، وبالتالي لا يشعر بقيمة وأهمية ما يتلقاه في المكان، وإن كان هذا يشكل -لا شعوريًا- اللبنات الفكرية والأساس القائم عليه جزء مهم من معرفته، واستخدام ضمير الغائب هنا لقاء تعبيري مع طه حسين الذي عبر عن نفسه في "الأيام" بالفتى.

عندما يتشبع الذهن بالمعرفة، فإن ذلك يؤثر على سلوك الذات وتصبح أكثر اتزانًا وحكمة في تناول الأمور والحكم عليها، فلا تحكم الذات انفعالاتها وإنما يغلب عليها طابع التفكير، وتختلف نظرتها إلى الأشياء حولها، وتكتسب إحساسًا بالسلام النفسي الداخلي من ثم تستطيع أن توجه الآخرين وتؤثر فيهم.

يصف عبد الحميد إبراهيم نفسه بعد أن صار أبًا فيقول: "أصبح يرى الدنيا غير الدنيا، والكلمات غير الكلمات...ولم تعد الكلمات تغضبه، فقد وصفوه بالترمسة لأنه كان متطلعًا دقيق الملاحظة، وما وصفوه بالطويل الهايف إلا حسدًا وغيرة."[5]

بالطبع لم تتغير الدنيا، ولم يختلف مدلول الكلمات إلا أن إحساسه هو ما تغير وتبدل، وأصبح أكثر قوة في المواجهة، تلك القوة التي اكتسبها بعدما اكتشف ذاته وقدراته ووصل إلى حد كبير من الإلمام المعرفي جعله يستوعب الأمور بصورة بناءة وليست هدامة، فأضاءت الدنيا في ناظريه، واستطاع أن يفسر الأوصاف -التي أطلقوها عليه تقليلا من قدره وحطًا من شأنه- تفسيرًا إيجابيًا حتى إذا ما وصل إلى الشاهد الأخير بدأ في نصح أولاده وترك وصايا لهم متأثرًا بوصايا لقمان، واصلا بذلك إلى أعلى درجات النضج الفكري، معولا على الخبرات المكتسبة عبر الحياة التي منحته سمة الحكمة ملخصًا تجاربه في بضع نقاط تنير طريق الآخرين، يقول: " أي بني! إن فيك قوة، وإن الرحمة هي عنصر من عناصر القوة، والقوة وحدها دون رحمة خطأ في الطبيعة، ينذر بكارثة أو زلزال...

---

[1]) شواهد ومشاهد، ص 38

[2]) السابق، ص 78

[3]) نظرية الحافز إحدى نظريات علم النفس، لمزيد من المراجع انظر /ar.wikipedia.org/wiki نظرية_الحافز#الدليل_المعزز

[4]) شواهد ومشاهد، ص 72، ص 76

[5]) السابق، ص 114، 115

أي بنيتي! لقد أودعك الله الكثير من الكنوز. ولو طال تكتمها لأصابها الصدأ، وأكلتها الأرضة.
أي بنيتي! إن فيك رقة، وإن الرقة هي صفة من صفات الملائكة، تظل معلقة في السماء، حتى يهيئ الله لها من يجذبها نحو الأرض.
أي بنيتي! من ليس فيه خير لنفسه، ليس فيه خير لغيره، ومن يظلم نفسه أجدر بأن يظلمه غيره.
أي بني .... أي بنيتي!
ليس عيبًا أن تختلفا، فجمال قوس قزح في اختلاف ألوانه، ولكن العيب كل العيب أن تختصما...".
وهكذا تتناص وصاياه مع وصايا لقمان التي أشار إليها في سيرته، وتأتي هذه الوصايا من فهمه لطبيعة الآخرين واتخاذها مدخلا للنصيحة لتجد لها صدى وقبولا في النفوس، ومن ثم تكون أكثر فائدة وتأثيرًا.[1]

المعرفة الحدسية:

المعرفة الحدسية هي قمة مثلث المعرفة، ولا تصل إلينا بالتساؤل بل إنها هبة إلهية يمنحها الله عز وجل لمن يريد[2]، وهذه الأداة المعرفية هناك ما يشير إليها كإلهامات الأولياء، والمنامات الصادقة[3]، وتكشف سيرة عبد الحميد إبراهيم تلك الهبة الروحية التي أضاءت حياته، وكانت له عونًا على نجاحات استطاع تحقيقها باقتدار.
المعرفة الحدسية وسيلة معرفية مهمة في حياة عبد الحميد إبراهيم ركز عليها في بداية كتابته لسيرته وفي نهايتها أيضًا؛ في بداية سيرته بدا الحلم وسيلة معرفية استشرافية، منحه القوة الداعمة "هو في نفق مثل القمع الطويل، الأرض تعتصره، وهو يتلوى ويتحرك، كأنه يسبح في محيط، وأخذ يحفر باطن الأرض بأظافره، وطال النفق وهو يحفر ويحفر، حتى وصل إلى فتحة على سطح الأرض، أطل منها برأسه، فوجد أخاه عبد الرحمن يبتسم، ووجد الدنيا ملأى بنور، أشبه بنور الضحى، لا هو غامر ولا هو غائم، ولكنه كاللبن المسكوب.
واستيقظ من نومه منشرح الصدر."[4]
مهدت الوسيلة المعرفية لما سيؤول إليه عبد الحميد إبراهيم، وما سيحققه من نجاح، ولكنه كان في حاجة ضرورية إلى مزيد من الجهد، وقد آمن بقدراته، وتنبه إلى هذه الهبة الروحية التي منحها الله له، وهي أعلى درجات المعرفة "ولم تعد "الغمرة" تواتيه" فهو في الغربة بالقاهرة، وليس هناك من يربت على خديه، أو يقدم له عصير الليمون، ليس معه سوى أظافره، ولن ينتزعها منه أحد، وسوف يحفر في باطن الأرض، حتى يصل إلى النور، الذي هو أشبه باللبن المسكوب، يستحم فيه ويخرج منه متطهرًا من كل شيء." [5]
استمر الكشف النوراني يضيء قلب عبد الحميد إبراهيم وطريقه، وإذا كان في بداية طريقه بدا نورًا يبعث في نفسه الطمأنينة والسلام ويبشره باستحقاقه للخير بعد المشقة والكفاح، فإنه بعد تحقيق نجاحاته في الدنيا ووصوله إلى ما كان يرمي إليه وتتوق نفسه لتحقيقه، انشغلت الذات بسؤال يؤرقها ويحذرها قبل أن يلقى المولى عز وجل لينظر في حياته ماذا قدم فيها؛ لأن كل ذات ستكون مسئولة عما قدمت في حياتها، يقول في الصفحات الأخيرة من سيرته:

[1]) يمكن مراجعة التناص وأنواعه التي جاءت في شواهد ومشاهد من خلال بحث رأفت حسن رستم: التناص عند عبد الحميد إبراهيم: شواهد ومشاهد انموذجًا، مجلة فكر وإبداع، ج55، 2009م، ص321: 377
[2])سيد محمد السيد وآخرون: الإدراك الجمالي، ص 75: 77
[3]) أيمن المصري: أصول المعرفة والمنهج العقلي، ص 80
[4]) شواهد ومشاهد، ص 67، 68، وهناك دراسة تتناول الأحلام في هذه السيرة متبعة منهج التحليل النفسي؛ انظر سوسن ناجي رضوان: اللغة المنسية وتأويل الأحلام، ضمن كتاب عبد الحميد إبراهيم في عيون الأدباء والمفكرين: إعداد وتقديم مصطفى القاضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2007م، ص 241
[5]) شواهد ومشاهد، ص 67، 68

"كان حلمه في الشاهد الأول، يشق لنفسه طريقا، داخل نفق طويل، يفضي به إلى فتحة من نور، وقد جلس بجانبها أخوه عبد الرحمن يبتسم، ويمد إليه يده.
أما حلمه في الشاهد الأخير، فهو طريق مليء بالحصى والحفر، والطين الناشف، الذي يتكون عادة عقب الفيضان، كان الطريق أسفل الجسر الترابي الممهد، مكان الترعة الصغيرة التي انحسر عنها الماء، كان يحمل فوق كتفه حملة، يقطع بها الطريق، ويلهث، ويرتفع فوق نتوء، ليهبط إلى منحدر"[1]
وهكذا لازمه هذا الكشف النوراني في نهاية حياته مثلما لازمه في بدايتها، فالمعرفة عند عبد الحميد إبراهيم ليست مادية فحسب بل تتجاوز المادة إلى عالم الروح بما فيه من ثراء يفيض في النفس.

ثالثا:الخطاب والمعرفة:

ثمة شرط جوهري يجب توافره في السيرة الذاتية، وهو التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية، من ثم فإن الضمير النحوي الموظف داخل العمل غالبًا ما يكون ضمير المتكلم، غير أن هذا التطابق قد يحدث دون الاستعانة بضمير المتكلم أي بالعودة إلى ضمائر أخرى مثل ضمير الغائب أو ضمير المخاطب.[2]
في السيرة الذاتية لعبد الحميد إبراهيم تتداخل الضمائر النحوية خاصة ضميري الغائب والمتكلم، وهي المسألة التي تناولها لوجون في مؤلفه السيرة الذاتية إذ لا يجد مشكلة في هذا التنوع فيقول: "ما الذي سيمنعني من كتابة حياتي معلنًا نفسي ضمير مخاطب؟... غير أن هذا النهج يظهر بطريقة عابرة في خطابات يوجهها السارد إلى الشخصية التي تحيل عليه، إما من أجل مواساته، إذا كان في موقف سيء أو من أجل وعظه، أو التخلي عنه. من المؤكد أن هناك مسافة بين هذه الحالة والمحكي، غير أن هذه المسألة ممكنة."[3]
إن هذه المسافة المولدة من توظيف الضمائر في هذه السيرة، وخاصة ضمير الغائب تتماهى مع المسافة بين الزمن الماضي الذي تجتره الذات، وتعيد تقديم أحداثه وتجاربه في الزمن الحاضر عبر الشكل الأدبي (السيرة الذاتية).
ومثلما تتنوع الضمائر الموظفة عند عبد الحميد إبراهيم، فإن اللغة نفسها أيضًا تتنوع ما بين الفصحى والعامية؛ فالمتلقي لسيرته يجد أنها لا تخلو من المفردات العامية، خاصة تلك المتعلقة ببيئته ونشأته الأولى، وما يدعو للانتباه هو توظيفه الهامش في سيرته لفك شفرات بعض المفردات والإشارة إلى معناها كونها تتعلق باللهجة، ويعد هذا الأسلوب بديهي لشخصية يمثل البحث جزءًا أصيلا من تكوينها العقلي، مثلا تفسيره في الهامش لاسم الحكاية التي كان يستمع إليها من خالته "قروية معلقة في السماء" يقول في الهامش: "القروية بكسر القاف وتسكين الراء: مقطف صغير يشبه البقجة، يضع فيه أهل الريف حوائجهم، ثم يعلقونه بحبل في سقف الدار، بعيدًا عن الحشرات والحيوانات، فالمراد بالسماء هنا: سقف الدار، كما في الآية الكريمة: "فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع."[4]
ما قدمه في الهامش هو عمل بحثي معجمي[5] إذ يشير أولا إلى النطق الصحيح للكلمة عن طريق ضبط حروفها، ثم يفسر معناها مبينًا استخداماتها، ويستعين بشاهد من القرآن الكريم في بيان المعنى، مستدعيًا في ذهن المتلقي عنوان سيرته "شواهد ومشاهد" فالشاهد هنا القرآن، والمشهد هو الحكاية، ويبدو عبد الحميد إبراهيم مخلصًا لهذه البنية اللغوية –العنوان- متمسكًا بها بوصفها دالا تشير كل كلمة في سيرته على مدلوله، وتؤكده في الوقت نفسه.

---

[1]) شواهد ومشاهد، ص 163
[2])انظر فيليب لوجون: السيرة الذاتية "الميثاق والتاريخ الأدبي"، ترجمة وتقديم عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص 25، 26
[3]) السابق، ص 27
[4]) شواهد ومشاهد، هامش ص 62
[5]) انظر أيضًا متن شواهد ومشاهد ص 130، 131، 138

وهذا العمل البحثي اللغوي نجده في مواضع من سيرته، فضلا عن أن الاهتمام بتفسير المفردات لغويًا واصطلاحيًا يذكر المتلقي بكتب الثقافة العربية الإسلامية، والدراسات العربية الأكايمية.[1]

وإذا تتبعنا المفردات الفصيحة يتضح أن الكثير منها يدور في الإطار المعرفي؛ إذ في هذه السيرة تبدو سيطرة المعرفة الحسية البصرية والمعرفة الحسية السمعية على المشاهد التي يتلمس فيها الطفل خطاه الأولى في الحياة، فيبدو بدهيًا أن تطفو على عبارات السيرة مفردات تتعلق بالحقلين البصري والسمعي بوصفهما المدخلات الرئيسة لتكوين شخصية طفل ومحاولة إدراكه لمفردات العالم من حوله.

تسطر هذه المعرفة الكلمات الأولى للسيرة في تسجيلها لمرحلة عمرية تشملها معاني الطفولة والبراءة والسذاجة، فنرى كلمات تنتمي لحقل العين مثل (نظر- يرى- صورة- مشهد- يتأمل)، وبعملية استقرائية بسيطة للمفردات المتعلقة بحقل المعرفة نصل إلى نتيجة مفادها تغليب المفردات المرتبطة بالمعرفة.

وهنا يمكن أن نقف على الصورة التي تستقر في ذهن صاحب السيرة، وتقف عند لحظة تاريخية مهمة تجمع قادة العرب، يراها في طفولته تنضح بمعاني القوة والفخامة والمُلك:

" صورة لا ينساها كانت عبارة عن منشور كبير، يتصدره الملك فاروق بنياشينه الضخمة، ووجهه الذي يشبه رغيف الخبز، وحوله عن اليمين وعن الشمال، الملك عبد العزيز والملك عبد الله، وسيف الإسلام أحمد، والملك فيصل، وغيرهم من ملوك ورؤساء الدول العربية.

كانت المناسبة دخول الجيوش العربية أرض فلسطين، لطرد اليهود من الأراضي المقدسة، كان الصغير ينظر إلى هؤلاء الملوك، بعضهم يحمل السيف، وبعضهم يحمل الخنجر، وبعضهم يحمل النياشين الضخمة، كلهم يبدون في مظهر القائد الجاد. كان ينظر إليهم، فيحس بالإعجاب، ويراهم ملائكة الله أرسلها لخلاص أرض فلسطين."[2]

هذه الألفاظ المرتبطة بحقل البصر ترتبط دلاليًا ببعدين؛ أحدهما حسي خالص يتعلق بإدراك مفردات الكون، والآخر معنوي يرتبط بالحالة الذهنية[3]؛ فالنظر والرؤية لغويًا يقصد بهما إدراك الشيء المرئي[4] في حين أن النظر قد يراد به التأمل أيضًا[5]، بالإضافة إلى أن الرؤية هنا تأتي بمعنى آخر يتعلق بالناحية الشعورية وهو التخيل[6]، هذه المعاني مجتمعة أطلقت للصغير العنان في أن يتصل بالموقف ويعايشه ويتأثر به إلى حد أن يظل عالقًا بذاكرته لا يمحى.

إن عين الطفل لاترى الشيء فحسب؛ بل تتأثر به وجدانيًا ومن ثم ينطبع الشيء المدرك في ذهن الطفل، ويجد في الصورة ما يربطه بها شعوريًا، وينعكس صداها لا إراديًا في طريقة تفكيره فيتطلع إلى أن يحتل صدارة الصورة ويحقق مجدًا وشرفًا، وهو الحلم الذي يطارده طوال حياته ويسجله في مواضع كثيرة من سيرته.

وتتكرر مثل هذه المفردات الدالة على الرؤية في هذه السيرة بأكملها، إن السيرة الذاتية تعتمد على التذكر القوي، والمواقف المؤثرة والصور التي تبقى راسخة في العقل، والمؤثرات الخارجية التي تحرك الذات ، ومن ثم قدرته على نقل أفكاره وميوله، وعلى ذلك تقاس قيمتها الأدبية.[7]

---

[1]) انظر رأفت حسن رستم: التناص عند عبد الحميد إبراهيم: شواهد ومشاهد أنموذجًا، مجلة فكر وإبداع، ج55، 2009، ص 368

[2]) شواهد ومشاهد، ص 13، 14

[3]) انظر سيد محمد السيد قطب:الإدراك الجمالي، ص 9

[4])انظر الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز،د.ط، د.ت، ص 642، ص 275

[5])انظر السابق، ص 642

[6])انظر السابق، ص 275

[7]) انظر يحيي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان،د.ط،د.ت، ص 26

اتبع عبد الحميد إبراهيم في حياته خطا فكريًا منطقيًا واتخذ منه وسيلة مهمة تقوده إلى المعرفة بطريقة عقلية سليمة، يبدأ من المشاهدة والرؤية وإفساح مساحة أمام العين لتلتقط الصورة، ثم للذهن أن يتدبرها ويفكر فيها؛ ليتحقق في النهاية فعل الإدراك. منهج منطقي تبناه ليعينه على التوصل لإجابات بطريقة عقلية حيادية بعيدًا عن العواطف التي تقود أحيانًا إلى نتائج خاطئة وقد انعكس ذلك على مفرداته، وسيرته تنضح بالكثير من المواقف الفكرية الإيجابية، منها الموقف الآتي؛ إذ يقول في أثناء وجوده بلندن:

"كنت مشدوهًا بالمناظر حولي في لندن، أتنقل من شارع إلى شارع ومن حديقة إلى حديقة، ومن ضوء إلى ضوء، ومن مبنى إلى مبنى، وكأنني ذلك الغواص، الذي يسبح في أعماق البحار، مأخوذا ببريق اللؤلؤ والمرجان، وتشكيلات الصخور، وألوان الطيف، وقطع الأصداف.

كنت أتفرج دون أن أتساءل، وأتجول دون أن أتوقف.

ثم تكشفت لي الحياة في لندن عن عالم آخر.

بدأت أفهم اللغة، وأخذت تشكيلات الهواء تتحول في أذني إلى معنى.

أخذت أفهم ما يقوله الناس، وتكتبه الصحف، ويلقيه الخطباء في "الهايدبارك".

وأدركت أن الحضارة لها ظاهر وباطن.

الظاهر هو ما كنت أشاهده هنا في لندن، طيلة هذه الشهور الكثيرة، ولا أفهم له معنى، سوى أن أتفرج وأنبهر وأتمتع.

أما الباطن فهو ذلك العالم الآخر، الذي يتناثر في الأثير، ويحمل أنفاس الآباء، ويحتفظ بمهمة الأجداد."[1]

يبدأ المقطع السابق بالأفعال الدالة على الرؤية (كنت مشدوهًا بالمناظر- كنت أتفرج)، ويلي الأفعال بحرف عطف يفيد التراخي (ثم)؛ أي أن التعقيب على الرؤية لم يكن سريعًا وإنما تدخل العقل للتقييم، والبحث عن إجابة للسؤال الحضاري الشاغل لذهنه، ليتحصل في النهاية فعلي الفهم والإدراك (بدأت أفهم-أخذت أفهم-أدركت)، والإدراك perception لغويًا الوصول، وأدرك المسألة علمها،[2] ويعني أيضًا الإحاطة بالشيء.[3]

يلخص عبد الحميد إبراهيم رحلة بحثه المعرفية المعتمدة في أساسها على الحركة والتنقل وليس الثبات والسكون، متجولا ومتنقلا دون توقف في حركة تماثل حركة الكون من حوله؛ خاصة عندما يتعلق الأمر بالحضارة ومتطلباتها وما تفرضه من سعي، دون أن ننخدع بالمظاهر والمشاهد البراقة من حولنا؛ فالبحث عن الحضارة ومعناها يستدعي التاريخ، واستكمال ما بدأه من قبلنا دون أن تتوقف العجلة عن الدوران.

ولذلك كان عبد الحميد إبراهيم مختلفًا عن غيره عندما اتجه للتراث العربي في مشروعه الفكري الذي تبناه.

أما عن توظيف الضمائر فإن ضمير المتكلم هو الملازم لكتابة السيرة الذاتية لأنها في الأساس تصور جوانب حقيقية لصاحب السيرة، وهو ما يفرقها عن العمل المتخيل كالرواية أو القصة مثلا إذ ليس شرطًا أن تكتب هذه الأجناس الأدبية بضمير المتكلم والمتلقي يعلم جيدًا أن الخيال عنصر أساسي فيها.

ومع ذلك فلم يلتزم عبد الحميد إبراهيم بضمير المتكلم إلا في بعض المواضع من سيرته، واستخدم معه ضمير الغائب كأنه يتحدث عن شخصية أخرى وليس عن نفسه وينعتها ب "صاحبنا"، "الصبي"، "الغلام".

رابعًا: الفضاء والمعرفة:

ثنائية (الخروج/ العودة) هي المتحكمة في سيرة عبد الحميد إبراهيم، وتشكل الرحلة المعرفية التي انطلق عبرها من أقصى جنوب مصر إلى العاصمة (القاهرة)، ومنها إلى أوروبا ثم عودة مرة أخرى إلى القاهرة ومنها إلى الصعيد، فعاش مناخًا ثقافيًا مختلفًا ومتنوعًا بقدر تنوع الأماكن التي سكنها، وقد أفرز هذا الانتقال المكاني ثمرة فكرية معرفية مؤثرة أودعها في مؤلفاته.

---

[1]) شواهد ومشاهد، ص102، 103

[2]) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، 1994م، 1414هـ، ج1، ص 53

[3]) مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 36

كانت الساحة مفتوحة أمامه لتلقي المعرفة واكتسابها من بيئات مختلفة، ولكنه لم يكن سلبيا في تلقيه وإنما واعيًا يحركه عقله ويوجهه إلى اختياراته، ويؤكد في سيرته أنه لم يسعد على المستوى النفسي إلا في الصعيد بيئته ومنشأه الأول، ومن وحي الصحراء توصل إلى مشروعه الفكري (الوسطية العربية).

ارتبطت المعرفة بالمكان عند عبد الحميد إبراهيم، وقد سجل أمرًا مهمًا في سيرته يتعلق بأثر المناخ البيئي خاصة الصحراوي على أهل المكان، فأهل الصحراء يجمعهم الشعور ذاته، وهي ملاحظة مهمة عرفها من احتكاكه المباشر بالمكان، فضلا عن قراءاته التي أكدت الأمر نفسه.

المنيا حرارتها مرتفعة نهارًا ومنخفضة ليلا تمامًا، ويتأثر سلوك الناس تبعا لدرجات الحرارة المتغيرة، وقد ربط بين ما عاشه ولمسه بنفسه وما قرأه في رواية موسم الهجرة إلى الشمال من موقف مشابه له؛ فالنفوس تكون مشتعلة تمامًا مثل الشمس في النهار وتهدأ النفوس ما أن تشرع في الغروب، مع ربط ذلك بنفس شاعرة يحكم فعلها التناقض إذ كيف بعنترة الذي يقف في وجه الأعداء وتحركه روح الانتقام أن يكون رقيق المشاعر أمام عبلة.

"عندئذ أدرك صاحبنا أن المنطقة، من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها، تسيرها روح واحدة، فعزم على أن يكتب كتابا تحت عنوان "عبقرية الصحراء"[1].

سيرة عبد الحميد تقودنا إلى منهجه الفكري الذي اعتاده في تناول الظواهر ودراستها، وهو تحليلي قائم على ضم المتشابهات معًا معتمدًا على الروابط القائمة بينها، وصولا إلى نتائج منطقية، وينبغي ألا نغفل جانبًا مهمًا وهو أن مثل هذا المنهج يحتاج إلى قدرات ذهنية تمكن صاحبها من استدعاء المعلومات وجمعها والربط بينها.

المكان بالنسبة له ليس فضاءً يحتويه فحسب؛ بل مساحة للتأمل والتفكير الذي يستدعي محصلة ذهنية معرفية مكتسبة ذاتيًا من تجارب خاضها، أو من أعمال قرأها ليقيم رابطًا شعوريًا وفكريًا بينها ويضيف إليها نتيجة استخلصها، مع ملاحظة حضور الفعل (أدرك) قبل إعلانه عن النتيجة التي توصل إليها.

(المنيا) مكان محوري ومهم في حياة عبد الحميد إبراهيم، هو فيها جذر لابنه وأحفاده، وكانت محل صحبة جمعته بأصدقائه، والمكان الذي أفرز فكرًا، وولد انتاجًا مؤسسًا على محصلة معرفية.

تعلن السيرة أيضًا عن أعلى مراحل النضج الفكري والمعرفي الذي وصلت إليه شخصية باحثة عن معنى الحضارة، تتلمسه في كل مكان سواء أكان محليًا أم عالميًا دون أن تنساق وراء آراء غيرها ممن ينظرون إلى الغرب الأوروبي منبهرين بتقدمه دون أن يعوا أن الإنسان هو صانع الحضارات في أي مكان، من ثم فإن المكان نفسه لا يشكل عائقا أمام التقدم بل من يسكنه، يقول عبد الحميد:

"منذ أن بدأ صاحبنا يقرأ وهو يحلم بأوروبا... وظل طيلة عمره، وهو في الأزهر، وهو في دار العلوم، كلما يضيق بشيء يقول لمن حوله: وأين نحن من أوروبا؟

وها هو الآن يتمشى في "الهايد بارك" ...ولكنه مع ذلك، يبدو غير سعيد.

وهنا عرف أن الحضارة ليست فرجة ولا مشاهدة، ولكنها حياة يصنفها أصحابها...

وهنا تفهم صاحبنا أزمة "أديب" طه حسين، و"إسماعيل" يحيي حقي، و"محسن" توفيق الحكيم...

وصاح صاحبنا:"لا خلاص من الأزمة إلا إذا صنع هؤلاء جنتهم بأنفسهم، وتخلصوا من موقف الفرجة والمشاهدة، إلى موقف العمل والممارسة، فالجنة ليست هي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ولكنها هي ما تصنعه الأيدي، وتشكله الرءوس."[2]

استغل عبد الحميد إبراهيم حضوره في المكان ليعرف، ويتفهم، ثم يصوغ خلاصة تجربته، ويتجلى لنا أن ما توصل إليه من معرفة مرتبط بالمكان بقوة ومعايشته للأجواء المحيطة التي عايشها آخرون قبله، ولكن الأمر هنا مختلف فلم يقف عند حد النظرة السطحية، بل كان للفكر والرغبة في معرفة ما يغيب عنه في مقدمة

[1])شواهد ومشاهد، ص 126،127

[2]) السابق، ص 101، 102

اهتمامه، ليجيب بنفسه عن السؤال الذي طرحه في بداية المقطع السابق (أين نحن من أوروبا؟)، والسؤال طريق المعرفة، ونافذتها، لأنه بمثابة عملية تنقيب عن المعلومة، و الوصول لها يحقق الارتياح والسعادة للذات الباحثة[1]، فتوجه ذهنه إلى مسألة مهمة قوامها البحث والتنقيب لإيجاد إجابة مقنعة له ومريحة.
شغلت عبد الحميد مسألة الزمن، والزمن يتعلق بالخبرة التي تحققها الذات عبره[2]، بما ينتج عنها من مكاسب فكرية وعقلية ناجمة عن الاحتكاك المباشر بالحياة فضلا عن طابعها المعرفي المباشر[3].
استغل قدراته الفكرية المرتبطة بمحصلة الخبرات المكتسبة من واقع اتصاله المباشر بما حوله في أمور كثيرة، ويتجلى انشغاله بالزمن عبر بحثه عن عنوان مناسب لمشروعه الفكري فبعد أن استقر اختياره على (عبقرية الصحراء) راعى العنصر الزمني وعدل عن اختياره مفضلا (الوسطية) وقد علل هذا العدول إذ يقول: و"أدرك أن الوسطية هي أيضًا تعبير عن عبقرية الصحراء، وهي في الوقت نفسه تعبير عن تاريخ، قد شكل حضارة واسعة، لا تقف عند حدود المنطقة، ولكن تتجاوزها لتخاطب الإنسان في كل مكان، وأيضًا في كل زمان."[4]
في مواضع كثيرة من سيرته يربط بين السياقين السياسي والأدبي مستدعيًا العنصر الزمني، وما يصدر ذلك إلا عن ناقد واع واسع الأفق لا يحيا بمعزل عن الواقع المحيط به، فضلا عن أن هذه السيرة تلقي الضوء بشكل واسع على مرتكز مهم يجمع بين عنصري الشخصية والزمن، إذ كيف للشخصية أن تتطور عبر الزمن، وتكون لها القدرة التي تمكن لها الحكم على تجربة عايشتها بعد فاصل زمني طويل، وقد وصل في نهاية سيرته الذاتية إلى رؤية بانورامية لحياته واتضحت أمامه الصورة بشكل جلي.
يريد د. عبد الحميد في نهاية سيرته أن يطوي الزمن ليصل إلى النهاية فيستدعي من الأدب العربي رسالة الغفران ويحذو حذوها في "شاهد لما يتحقق" ومتاثرا في الوقت نفسه بليلة القدر، والمعراج إلى السماء.[5]

خامسًا: الظواهر المعرفية في سيرة الناقد:

ظاهرة التجاهل:

ظاهرة التجاهل تعد نموذجًا لظاهرة معرفية يمكن بلورتها في سؤال وهو كيف تبذل جهدك كي يراك الآخر في الغرب، وأنت غير موجود في خريطته؟ وبالتالي تكون نظرته نظرة تعالٍ واستكبار، ولا يراك منافسًا له ولا تقع في دائرته بل أنت مطرود منها. إنها ظاهرة قائمة على موقف درامي يتصل بالعلاقة بين الشرق والغرب، سلط عبد الحميد عليها الضوء من خلال المقطع الآتي؛ إذ يقول: "لا أنسى أبدا نظرة ذلك الكلب.
كان يقعى تحت قدمي صاحبه، في حديقة الهايدبارك، وينظر إلي نظرة باردة.
حاولت أن أستفزه فلم يغير من نظرته، ولم يبدل من هيئته.
أما الكلاب في قريتي، فقد كانت من نوعين.
أولهما كلابنا، التي كانت تستقبل والدي، فوق جسر القرية، وهو عائد من السوق..
أما الأخرى فهي كلاب الأعداء، من القبيلة التي كانت تنافسنا على "العمودية"، كانت تنبحني بشدة وأنا عائد من المدرسة وتنظر إلي نظرة نارية، وكأنها ترمي بشرر كالقصر.

[1])انظر عدنان عباس البطاط، أركان حسين التميمي: السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة، مجلة المبين، العراق، مج 1، ع6، 2018، ص 268
[2]) انظر مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 296
[3]) انظر أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ص 390
[4]) شواهد ومشاهد، ص 128
[5]) انظر السابق، ص 148

عضتني مرة حتى أدمتني، ولكن جرحها لم يبلغ من الألم، مثلما بلغته تلك النظرة، من ذلك الكلب في بلاد الإنجليز، وهو يقعى تحت قدمي صاحبه، وينظر إلي وكأنه ينظر إلى لا شيء."[1]

يعقد عبد الحميد مقايسة عن طريق الحيوان ممثلا في الكلب، كيف يتعامل الكلاب في محيط الغرب نفسه مع من حولهم، أما في الشرق فهناك نمطان للتعامل؛ هما الإزاحة والتقرب أي توجد علاقة قائمة قد تكون جيدة أو سيئة، ولكنها في النهاية موجودة منطبعة بطابعي الإدناء أو الإقصاء، علاقة فيها طرفان كل منهما يصدر تفاعلا قويا أو ضعيفا حسب ما يقتضي الأمر، يألفنا أو يطردنا.

أما بالنسبة للآخر الغريب البعيد وليس القريب منك في المكان فالأمر مختلف؛ الانفصال التام يحدد شكل العلاقة القائمة على اللاتجاوب دون أدنى التقاء.

وتعد المقايسة إحدى أدوات العمل في معالجة الظاهرة من منظور العقل التحليلي، "إن طبيعة المعرفة في الرحلة هي أنها معرفة مقايسة، تتكون المقايسة من طرفين، أحدهما معروف أو الشاهد أو المصدر، وثانيهما جديد ويسمى الفرع أو الغائب أو الهدف، والطرف الجديد يفهم بالطرف القديم."[2]

يتضح أسلوب مقايسة في تصويره "الكلب" الذي ينتمي إلى المكان الذي يمثل البيئة الأم الحاضنة، وبين "الكلب" في الغرب بنظرته القاسية. فيظهر "البطل الكلب، الذي يمثل ثقافة مغايرة، ثقافة الغربي الذي لا يعترف بالآخر ويتعالى عليه"[3] ، في مكانك بلدك وجودك قائم أما عند الغريب فأنت غير موجود، وهكذا فإن د. عبد الحميد -بوصفه الذات التي هي علامة شاهدة في مكانها- يرصد مشاهد ومواقف مختلفة في أماكن متفرقة.

ظاهرة الالتقاء الفكري:

في هذه السيرة نجد أنفسنا إزاء ناقد ومفكر يحلل ويقدم نتائج، يبحث عن المشترك الفكري والإنساني بين الشعوب ليستخلص جوهر التجربة الإنسانية بوعي، فهو لا يكتفي بالمشاهدة وإنما يقيم علاقات ذهنية تجمع الشرق بالغرب، يظهر أسلوب المقايسة أيضًا في قوله:

"شاهدت اليوم مسرحية في شمال لندن، لا أذكر عنوانها ولا حوارها، ولكنني أبدا لا أستطيع أن أنسى منظر بطلتها...كانت من جيل الحرب تتأمل نفسها، ولا تأبه بمن حولها، منتشية بغزل الشباب تمتص الكلام المعسول، لا يهمها الأهل ولا العائلة ولا العرف والعادة، لا شيء سوى نفسها. وتذكرت سوزي بطلة "عصفور من الشرق"، كانت رمزًا لأوروبا بعد الحرب، لا شيء يهمهما سوى غرضها، حتى لو كان ذلك على حساب محسن ومن حولها، وأدركت أن الأدباء يتحدثون بلغة واحدة لأنهم يغترفون من العمق، مما هو يدور تحت السطح ووراء الظاهر."[4]

تلتقي المسرحية المعروضة مع مسرح الحياة، وما يدعو للانتباه القدرة التحليلية التي يتمتع بها د. عبد الحميد إبراهيم وقد قدر له معايشة الأمر بنفسه والاطلاع على الفن الغربي، وقدرته الذهنية على استدعاء النصوص وربطها ببعضها، مع التوصل إلى نتائج تضع في اعتبارها السياق المحيط بالعمل.

فعل المشاهدة هو الفعل المصاحب له في تحركاته خاصة عندما يكون في مجتمع آخر غير عربي، ثم يعقد مقارنة بين الشرق والغرب في إشارة منه واضحة تؤكد أن العرب عندهم من الإبداع الأدبي ما يلتقون به مع الغرب، ولكن الأمر يحتاج إلى قراءة واسعة ونظرة باحثة، وليست تلك النظرة الدونية التي تقلل من شأن

---

[1]) شواهد ومشاهد، ص 107، 108

[2]) محمد مفتاح: النقد المعرفي والمثاقفة (مشكاة المفاهيم)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000م، ص130، وانظر أيضًا أحمد عبد السيد الصاوي: النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني "دراسة مقارنة"، مطبعة الانتصار، ط3، 2002، ص 55

[3]) سيد محمد السيد قطب، عبد المعطي صالح: عبد الحميد إبراهيم واسطة المنظومة لنقدية، ص 221

[4]) شواهد ومشاهد، ص 106

مجتمعاتنا، ويصل إلى نتيجة إنسانية يبدأها بالفعل "أدركت"، وهكذا يتضح وعي الكاتب وفكره في سيرته، وهو منطلق أساسي لتحليل الموضوع وفقًا لرأي ميرلو بونتي الذي يرى بأن النص إسقاط عيني للشخص[1] ومن ثم كانت حاجة الدراسة للوقوف على المشاهد الشاهدة على طريقته في التفكير.

يبحث عبد الحميد عن نقاط الالتقاء والاختلاف بين الثقافات المختلفة، فعلى الرغم من المسافة الجغرافية الواسعة الفاصلة بين الأطراف في الشرق والغرب، فإنها لا تمثل عائقًا أمام الفكر على نطاقات مختلفة وخير مثال ما رصده من مشترك أدبي فني في المقطع السابق.

سادسًا: شواهد ومشاهد: البنية الشكلية ومشروع الناقد:

جاءت سيرة عبد الحميد إبراهيم توثيقًا لفترات مهمة في السياق الاجتماعي، كما لم تخلُ من تصريحاته الشخصية الخاصة ببيئته ونشأته وتعليمه وانتقالاته فضلا عن احتفائه بانطلاق فكرة مشروعه الفكري أيضًا، وتعد "الترجمة الذاتية أقرب الأنواع الأدبية تصويرًا للحقيقة المعبرة عن الإنسان، وأكثرها التزامًا للصدق، إذ أنها تنقل الواقع الذاتي الذي شكلته الأحداث الخارجية، وتصور التجارب التي أحدثت الصراع الداخلي لصاحبها"[2].

اختار عبد الحميد إبراهيم هذا الشكل الأدبي "فن السيرة الذاتية"؛ نظرًا لقدرته التوثيقية لخطوات اكتساب المعرفة التي قادته إلى مشروعه الفكري، بوصفها عملا تسجيليًا لمراحل تطور فكره وتشكيل وعيه بدءًا من مراحل التلقي الأولى مرورا بالتأثر وانتهاء بمرحلة البلورة الفكرية والإنتاج النابع عن ذات استطاعت أن تمزج كل ما اكتسبته عبر وسائل المعرفة الحسية والعقلية والحدسية، وقدمت نتاجًا أدبيًا ونقديًا يحقق لها ما أرادته وسعت إليه، وقد سجلت سيرته أهم مشروعاته الفكرية ممثلة في "الوسطية"، فيوثق "مشروع الوسطية" منذ بداية التفكير والانشغال به، قائلا: "أول مرة يفكر في "الوسطية" كانت وهو طالب في دار العلوم، وكان الدكتور غنيمي هلال قد عاد لتوه من فرنسا، وقرأت كتابه "الرومانتيكية" وأحسست أنني غريب.

تحدثت عن غربتي مع يحيي حقي، فلاذ بالصمت، وتربع على الكنبة، وكان ذلك في 27 شارع عبد الخالق ثروت، وكان وقتها رئيسًا لتحرير مجلة "المجلة"."[3]

وهكذا فإنه يستحضر الفكرة مدعمة بحضور زماني ومكاني بالإضافة إلى ذكر شاهد له شخصيته الفكرية والأدبية كي يشاركه لحظة ميلاد فكري جديد، فيتصل التوثيق ببيئة علمية إذ تبدأ الفكرة في الجامعة محراب العلم الذي نشأ في كنفه، ويكون بداية الإعلان عنها من محراب نشر الثقافة.

وفي سيرته تتكرر عباراته المحتفية بمشروعه على النحو الآتي:

"كانت الوسطية مطمورة داخلي، دون أن أدري."[4].

ويقول مكررًا مرة أخرى: "والوسطية مطمورة داخلي ولا أدري."[5]

إن تكرار الكلمات نفسها يؤكد انشغاله المعرفي، وقضيته الفكرية التي قضى شطرًا كبيرًا من حياته يسعى خلفها، لذلك كان من الأجدر أن تجد لها مساحة في سيرته.

وفي هذا الموضع يجدر الإشارة إلى أن البنية الشكلية لسيرة د. عبد الحميد إبراهيم ليست متصلة على النحو المعتاد، وإنما مقدمة في صورة مقاطع؛ كل مقطع منها يشكل وحدة بنائية مكتملة قد يطول أو يقصر، ولكنه قائم بذاته، ويمكن أن نقتطعه منها أو نغير موضعه دون أن يسبب ذلك خللا في بنية السيرة.

---

[1]) انظر حميد لحمداني: سحر الموضوع، عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، ص 80

[2]) يحيي عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، ص 28

[3]) شواهد ومشاهد، ص 136

[4]) السابق، ص 130

[5]) السابق، ص138

تنقسم السيرة إلى أربعة شواهد وهي؛ (الشاهد الأول- الشاهد الثاني- الشاهد الثالث- الشاهد الأخير- شاهد..لما يتحقق)، ثم عنوان أخير (الحياة الأخيرة)، كما تنطوي الشواهد (الأول والثاني والثالث على مجموعة مشاهد). كل مشهد يتشكل من مجموعة مقاطع يتلقاها القارىء وكأنها لوحات قصصية قصيرة يقرأها منفصلة أو مجتمعة لتشكل سيرة مكتملة للشخصية.[1]

وهذه البنية تتناص مع البنية القصصية التراثية المعتمدة على فن الخبر كوحدة بنائية، مثل "المكافأة وحسن العقبى" لابن الداية المصري، و "طوق الحمامة" لابن حزم الأندلسي.[2]

الخاتمة:

- وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:
- يشير العنوان إلى أن سيرة عبد الحميد إبراهيم جاءت شاهدًا على فكره، أما المشهد فهو المحتوى الذي يشبه القصص الإخباري بما يمثل من تجارب أيضًا، خاصة أن سيرته روائية وليست تسجيلية ولكنه يقدمها كأخبار قصيرة تأثرًا بالأخبار القصصية التي تشكل جزءًا من الهوية العربية الثقافية.
- وسائل المعرفة الحسية البصرية، ووسائل المعرفة الحسية السمعية يشكلان خطين أساسيين في السيرة الذاتية للكاتب، فضلا عن أنه يدمج بينهما في مواضع كثيرة على نحو يصعب أن نتناول كل حاسة منهما بمعزل عن الأخرى.
- كشفت الدراسة عن علاقة بين وسائل المعرفة الحسية والإدراك الذهني عند عبد الحميد خاصة المعرفة البصرية بوصفها الوسيلة الحسية الإدراكية الأولى والأداة التي صاحبته دائمًا في مراحل حياته كافة.
- تتضافر الحواس معًا عند عبد الحميد إبراهيم؛ فيخاطب حاسة البصر بالصورة فضلا عن استدعائه للصوت ليصبح المشهد وكأنه مرئي، معتمدًا بذلك على خطوط تشكيلية متنوعة.
- كيفية بناء العقل وتشكيل الوعي هما القضيتان البارزتان في سيرته، فقد كان فعلا القراءة والاطلاع المصاحبين له طوال رحلته في الحياة، ولم ينفصل هذا عن الحافز النفسي للكاتب ممثلا في الرغبة في الظهور والنجاح والمعاني اللغوية الأخرى المرتبطة بالشاهد في العنوان.
- كشفت الدراسة عن أن التشبع العقلي المعرفي هو المؤثر البارز في شخصية عبد الحميد إبراهيم.
- بينت سيرة عبد الحميد إبراهيم تلك الهبة الروحية الحدسية التي أضاءت حياته، وكانت له عونًا على نجاحات استطاع تحقيقها باقتدار.
- تداخلت الضمائر النحوية خاصة ضمير الغائب وكأنه يقدم السيرة من منظور شخص آخر منفصل عنه ينعته بالصيغ الآتية؛ "صاحبنا"، "الصبي"، "الغلام"، ومثلما تتنوع الضمائر الموظفة عند عبد الحميد، فإن اللغة نفسها أيضًا تتنوع ما بين الفصحى والعامية.
- وظف عبد الحميد الهامش في سيرته لفك شفرات بعض المفردات والإشارة إلى معناها كونها تتعلق باللهجة، ويعد هذا الأسلوب بديهي لشخصية يمثل البحث جزءًا أصيلا من تكوينها العقلي.
- إن تتبع المفردات الفصيحة يشير إلى أن الكثير منها يدور في الإطار المعرفي؛ إذ في هذه السيرة تبدو سيطرة المعرفة الحسية البصرية والمعرفة الحسية السمعية.
- تكشف مفرداته أيضًا عن خط فكري منطقي اتخذ منه وسيلة مهمة تقوده إلى المعرفة بطريقة عقلية سليمة، يبدأ من المشاهدة والرؤية وإفساح مساحة أمام العين لتلتقط الصورة، ثم للذهن أن يتدبرها ويفكر فيها؛ ليتحقق في النهاية فعل الإدراك.

[1]) انظر سيد محمد السيد ، عبد المعطي صالح: واسطة المنظومة النقدية، ص218

[2]) انظر السابق، ص218

- عايش عبد الحميد إبراهيم مناخًا ثقافيًا مختلفًا ومتنوعًا بقدر تنوع الأماكن التي سكنها، وقد أفرز هذا الانتقال المكاني ثمرة فكرية معرفية مؤثرة أودعها في مؤلفاته، وقد بدا المكان بالنسبة له ليس مجرد فضاء يحتويه فحسب؛ بل مساحة للتأمل والتفكير الذي يستدعي محصلة ذهنية معرفية مكتسبة ذاتيًا من تجارب خاضها.
- ألقت هذه السيرة الضوء بشكل واسع على مرتكز مهم يجمع بين عنصري الشخصية والزمن، إذ كيف للشخصية أن تتطور عبر الزمن، وتكون لها القدرة التي تمكن لها الحكم على تجربة عايشتها بعد فاصل زمني طويل.
- أسهم الشكل الفني- ممثلا في السيرة الذاتية- في توثيق خطوات اكتساب المعرفة التي قادت عبد الحميد إبراهيم إلى مشروعه الفكري "الوسطية" فضلا عن أن سيرته مقدمة في صورة مقاطع؛ كل مقطع منها يشكل وحدة بنائية مكتملة قد يطول أو يقصر، ولكنه قائم بذاته، ويمكن أن نقتطعه منها أو نغير موضعه دون أن يسبب ذلك خللا في بنية السيرة.
- كشفت الدراسة عن ظاهرتين معرفيتين تتعلقان بعلاقة الشرق بالغرب هما؛ ظاهرة التجاهل المتعلقة بأسلوب المقايسة، وظاهرة الالتقاء الفكري.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت.
أحمد عبد السيد الصاوي: النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني "دراسة مقارنة"، مطبعة الانتصار، ط3، 2002م.
الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ط، د.ت.
أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية – معجم مصطلحات الفلسفة التقنية والنقدية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، ط 2، 2001م.
د. أيمن المصري: أصول المعرفة والمنهج العقلي، مكتبة لسان العرب، ط1، 1433هـ، 2012م.
جاستون باشلار: إبستمولوجيا – نظرية المعرفة – نصوص مختارة، ترجمة وتقديم درويش الحلوجي، دار المستقبل العربي، القاهرة، ط 1 ، 1998م.
د. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، ج1، 1994م، 1414هـ.
د. حميد لحمداني: سحر الموضوع، عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر، مطبعة آنفو- برانت، المغرب، ط2، 2014.
رأفت حسن رستم: التناص عند عبد الحميد إبراهيم: شواهد ومشاهد انموذجًا، مجلة فكر وإبداع، ج55، 2009م.
رانية قدري، محمد عروس: مقال المعرفة من الاشتغال الفلسفي إلى النقد المعرفي،مجلة قراءات، مج 13،ع1، 2021م.
زكي نجيب محمود: نظرية المعرفة، مؤسسة هنداوي، لندن، 2017م.
سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل للنشر والطباعة، المغرب، ط1، 1989م.
د. سيد محمد قطب، د. عيسى مرسي، د.عبد المعطي صالح، د. جلال أبو زيد: الإدراك الجمالي، دار الهاني، القاهرة، ط1، 1423هـ، 2003م.
د. سيد محمد قطب، د. عبد المعطي صالح، د. أحمد يحيي علي، د. أحمد عبد العظيم، د. علاء عبد المنعم: المنهج الموضوعي في النقد الأدبي- تيمة الرحلة في السرد والشعر نموذجًا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1422هـ، 2011م.
د. سيد محمد قطب، د. عبد المعطي صالح: واسطة المنظومة النقدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 2001م.
د. عبد الحميد إبراهيم: الرواية العربية والبحث عن جذور، جماعة التأصيل الأدبي والفكري،ط1، 1995م.
أ.د. عدنان عباس البطاط، م.م. أركان حسين التميمي: السؤال ودوره في الإثراء المعرفي دراسة في ضوء نهج البلاغة، مجلة المبين، العراق، مج 1، ع6، 2018م.
فؤاد زكريا: نظرية المعرفة ، مكبة مصر ، القاهرة، 1991م.
فيليب لوجون: السيرة الذاتية "الميثاق والتاريخ الأدبي"، ترجمة وتقديم عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994م.
د. لطيف الزيتوني: معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة ناشرون، لبنان، ط1، 2002م.
مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
محمد الباردي: عندما تتكلم الذات "السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.

محمد مفتاح: النقد المعرفي والمثاقفة (مشكاة المفاهيم)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 2000م.
مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م.
مصطفى القاضي،:عبد الحميد إبراهيم في عيون الأدباء والمفكرين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، 2007م.
د/ يحيي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، د.ط، د.ت.

List of sources and references:

Abdel Hamid Ibrahim: The Arabic Novel and the Search for Roots, Literary and Intellectual Rooting Group, 1st edition, 1995.

Adnan Abbas Al-Battat, M.M. Arkan Hussein Al-Tamimi: The question and its role in cognitive enrichment, a study in the light of Nahj Al-Balaghah, Al-Mubin Magazine, Iraq, Vol. 1, P6, 2018.

Ahmed Abdel-Sayed Al-Sawy: Analytical Criticism of Abdel-Qaher Al-Jurjani, "A Comparative Study", Al-Intisar Press, 3rd edition, 2002.

Andre Lalande: The Philosophical Encyclopedia - A Dictionary of Technical and Critical Philosophy Terms, Translated by Khalil Ahmed Khalil, Oweidat Publications, Paris, 2nd edition, 2001.

Ayman Al-Masry: The Origins of Knowledge and the Rational Approach, Lissan Al-Arab Library, 1st Edition, 1433, 2012.

Fouad Zakaria: Epistemology, The Library of Egypt, Cairo, 1991.

Gaston Bachelard: Epistemology - Theory of Knowledge - Selected Texts, Translated and Presented by Darwish Al-Halouji, Dar Al-Mustaqbal Al-Arabi, Cairo, 1st edition, 1998.

Hamid Hamdani: The Magic of the theme, On Thematic criticism in Novel and Poetry, Info-Brant Press, Morocco, 2nd Edition, 2014.

Ibn Manzoor: Lisan Al-Arab, Dar Sader, Beirut.

Al-Isfahani: Vocabulary in Gharib Al-Qur'an, Nizar Mustafa Al-Baz Library, without edition number.

Jamil Saliba: The Philosophical Dictionary, The International Book Company, Part 1, 1994, 1414.

Latif Al-Zaytouni: Lexicon of Novel Criticism Terms, Publishers Library, Lebanon, 1st Edition, 2002.

Majdi Wahba, Kamel Al-Mohandes: A Dictionary of Arabic Terms in Language and Literature, Library of Lebanon, Beirut, 2nd edition, 1984.

Muhammad Al-Bardi: When one Self Speaks, "The Autobiography in Modern Arabic Literature", Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 2005.

Muhammed Moftah: Cognitive Criticism and Acculturation, Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, 2000.

Murad Wahba: The Philosophical Lexicon, Dar Qubaa Al Haditha, Cairo, 2007.

Mustafa Al-Qadi,: Abdul Hamid Ibrahim in the eyes of writers and thinkers, the General Authority for Cultural Palaces, 1st edition, 2007.

Philippe Lejeune: The Autobiographical Charter and Literary History, translated and presented by Omar Helli, The Arab Cultural Center, 1st edition, 1994.

Raafat Hasan Rustom: Intertextuality with Abdel-Hamid Ibrahim: Evidence and Scenes as a Model, fikr wa'iibdae Magazine, Vol. 55, 2009.

Rania Qadri, Muhammad Arous: An essay on knowledge from philosophical preoccupation to epistemological criticism, Qiraat Magazine, Vol. 13, P. 1, 2021.

Saeed Alloush: Objective Criticism, Babel Publishing and Printing Company, Morocco, 1st edition, 1989 .

Sayed Muhammad Qutb, Dr. Abdel-Moati Saleh: The middle of the critical System, The Egyptian General Book Organization, 1st Edition, 2001.

Sayed Muhammad Qutb, Issa Morsi, Abdel Muti Saleh, Jalal Abu Zaid: Aesthetic Perception, Dar Al-Hani, Cairo, 1st edition, 1423, 2003.

Syed Muhammad Qutb, Abdel-Moati Saleh, Ahmed Yehia Ali, Ahmed Abdel-Azim, Alaa Abdel Moneim: The Objective Approach in Literary Criticism - The Theme of Journey in Narration and Poetry as a Model, Library of Arts, Cairo, 1st edition, 1422, 2011.

Yahya Ibrahim Abdel Dayem: The Autobiography in Modern Arabic Literature, Dar Revival of Arab Heritage, Beirut / Lebanon, without edition number.

Zaki Naguib Mahmoud: Epistemology, Hindawi Association, London, 2017.